الفصل السادس

الأرواح
Spirits

يمكن القول إن مفهوم الروحانية ***Spiritualism*** أو النزعة الأرواحية[1] قد ساد منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر للإشارة إلى وجود كائنات روحية تسيطر على الحياة وعلى مقدرات البشر، جاء تايلور في أواخر القرن التاسع عشر (1866) ليقدم لنا مفهومه الذي يطلق عليه الأنيميزم أو المذهب الحيوي ***Animism***، والذي ينقسم عنده إلى اتجاهين أو بالأحرى مبحثين متكاملين:

الأول: يشير إلى وجود نفوس للكائنات الفردية.

الثاني: وجود الأرواح على اختلاف أنواعها ودرجاتها ابتداء من الأشباح حتى الآلهة أنفسهم.

وواضح من كتابات تايلور أنه يعتقد أن تصور الرجل البدائي لهذه الأشباح والأرواح والآلهة متوقف كلية على تصوره للنفوس، ولذا كان لا بد لكي نفهم

---

[1] مفهوم الروحانيين استخدم للإشارة إلى الروح وتمييزها عن المادة واستقلالها عنها. وقد استخدم هذا المفهوم بطرق مغايرة ففي الميتافيزيقا يستخدم للإشارة إلى الاتجاه الذي يؤكد أن الروح منفصلة عن المادة انفصالاً تاماً. وقد تباينت الاتجاهات بين أفلاطون والأفلاطونية المحدثة والمحدثين من أمثال ديكارت واسبينيوزا وغيرهما. وفي السيكولوجيا عرفت الروح عن طريق علاقتها بالمادة وبحث السيكولوجيون وحدة الكائن البشري والتلازم بين الروح والجسد. وفي مجال الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع ناقش الأنثروبولوجيون النزعة الروحية وأثرها في المجتمعات البدائية وارتباطها بالسحر والشعوذة.

(انظر معجم العلوم الاجتماعية، ص 197 وما بعدها).

obeikandl.com

طبيعة هذه الأرواح وبالتالي طبيعة الآلهة من أن نحلل أولاً تصور البدائيين للنفس وبخاصة النفس الإنسانية[1].

وينتقل تايلور إلى أن الرجل البدائي يعزو للإنسان ليس نفساً واحدة أو روحاً واحدة، بل نفوساً وأرواحاً كثيرة متعددة وأن الإنسان ليس هو الكائن الوحيد الذي يمتلك أرواحاً أو نفوساً، بل الحيوانات أيضاً وكذلك النباتات على اعتبار أنها تشارك الإنسان والحيوان ظاهرة الحياة والصحة، وامتدت فكرته إلى الجماد.

بالطبع إن فكرة تايلور واجهت نقداً شديداً خاصة من تلاميذه ***A. Lang*** و***R. Marett*** وعلى الرغم من أن ***Lang*** كان من أتباع النظرية التطورية (شأنه في ذلك شأن تايلور) لكنه رفض فكرته التي ذهبت إلى أن الآلهة قد تطورت عن فكرة الأشباح ***ghosts*** أو الأرواح ***spirits***، أما «شميت» ***Schmidt*** وكان من المشايعين للمذهب الروحاني أيضاً، وافق على فكرة تايلور في أن الاعتقاد في الأرواح ربما جاء من ظاهرة طبيعية (الأحلام)، ولكنه لم يكن مستعداً شأنه في ذلك شأن ***Lang*** أن يتقبل فكرة أن الآلهة قد تطورت عن الأرواح، لأن فكرة الأحلام وفكرة الآلهة أو الكائن الأعلى متباينة بشكل واضح عند هذه الشعوب البدائية[2].

لن نخوض في مناقشة نظرية تايلور في المذهب الحيوي تفصيلاً، كل ما نريد توضيحه أن الكتاب والباحثين قد تناولوا فكرة الأرواح والأشباح وكانت لهم آراء ونظريات، وأياً كان الأمر فإن الشعوب التقليدية المعاصرة تعتقد في وجود الأرواح سواء تلك التي ترتبط بالكائنات العليا أو الأسلاف أو بالإنسان العادي أو تلك التي تسكن المجال الطبيعي (الأنهار والبحيرات والآبار والجبال والصخور والأشجار والشمس والقمر... إلخ)، وهناك العديد من الأساطير التي تروي وجود هذه الأرواح وارتباطها بتلك المظاهر الطبيعية. ولما كنا قد تناولنا الألوهية في الفصل السابق فإننا سوف نقتصر هنا على معالجة الأرواح، خاصة تلك التي تتعلق بالإنسان العادي أو تلك التي ترتبط بالمجال الطبيعي، أما الأرواح المرتبطة بالأسلاف والزعامة الروحية فسوف نفرد لكل منهما فصلاً على حدة.

---

[1] د. فاروق إسماعيل: تأثير الإسلام على الوثنية، ص 63-64.

[2] د. أحمد أبو زيد: تايلور، ص 135-142.

إن قبيلة «التيف» *Tiv* على سبيل المثال في شمال نيجيريا تعتقد أن لكل شخص روح يسمونها *Jijinjl* (جاي جن جل)، والتي تبدو في ظله أو حين ينظر إلى المرآة أو في صورته المنعكسة في المياه، وأنها تنفصل عنه بعد الموت، من هذا القبيل ظلال الأشجار أو الأشياء غير الحية. ويعتقدون أن هذه الأرواح لا تفارق الجسم إلا حين وفاته وأنها تستقبل الرؤى والأحلام. والتيف يميزون بين الروح *Jijinjl* وبين خاصتين: الملامح الطبيعية الخارجية للإنسان والثانية ما يسمونها *Orijorna* أي النفس أو الذات. ويعتقدون أن هذه الأرواح تصعد إلى السماء عند الموت، بيد أن هناك رأياً آخر يبدو متناقضاً إلى حد بعيد حول مصير هذه الأرواح، إذ يرون أنها تذهب إلى أرض الموت حيث تخضع لتغيرات أساسية وتفقد خصائصها الآدمية[1]. ولا يختلف عنهم كثيراً هنود «المابوتشي» *Mapuche* في الأرجنتين (التي درسها *L. Faron* عام 1961) والذين يعتقدون أن الأرواح تذهب إلى عالم خاص (عالم الموت) لتعيش في هدوء وسكينة ولكي يتاح لها زيارة الجماعة القرابية بين الحين والآخر. أما في جبال الأنقسنا فلا يعرفون أين تذهب أرواح الموتى ويعتقدون أنها تأتي على هيئة ظلال ولا يرونها كثيراً. وإن كان البعض يرى أنها تذهب إلى جبلي بونق وليفر المقدسين، أو جبل كامول حيث يبيت الإله «تل».

أما قبائل «سارا» *Sara* بالقرب من بحيرة تشاد فيعتقدون أن الروح تنطلق ناحية الغرب بعد الموت ولكنها في الوقت نفسه تظل بالقرب من قبر صاحبها. إن الكثير من الشعوب تدرك هذه الثنائية كما نجد لدى قبائل «الماندانج» يقول هوبير ديشان في كتابه (الديانات في إفريقيا السوداء):

كل إنسان له صورة أو ظل «*Da*» ونسمة «*Ni*»، بعد الموت تصعد تلك الأخيرة إلى السماء، أما الـ *Da* فتظل في بيت الميت إلى أن تتم مراسم الجنازة، ثم تغادره وتظل هائمة تتردد على موطنها الأول بين الحين والآخر لتلحق في نهاية المطاف بالنسمة *Ni* التي صعدت إلى السماء. كما نجد فكرة تعدد الأنفس أو الأرواح هذه في داهومي (بنين) عند قبائل «الفون» *Fon*، فهم يعتبرون أن لكل كائن حي (إنسان

---

[1] **Paul Bohannon: The Tiv of Nigeria, edited by James Gibbes, Holt, Rinehart & Winston, Inc., p. 532.**

- حيوان - نبات) أربعة أنفس: نفس شفافة، نفس كثيفة، ونفس غير مرئية والتي إذا انفصلت عن الجسد حدثت الوفاة، والنفس الكاملة التي تحل في جسد آخر عندما يفارق الميت الدنيا[1].

أما قبائل «الكيكويو» *Kikuyu* في كينيا فترى أن لكل شخص نفسين إحداهما منفصلة عن الجسد بعد الموت لتنضم إلى نفوس الأسلاف، والأخرى نفس جماعية وتعتبر في اعتقادهم جزءاً من روح الأسرة التي تحل مؤقتاً في أحد أعضائها إلى أن تحل فيما بعد في جسم أحدث مولود في الجماعة. ومن ناحية أخرى، فقد يستدل الإنسان على ظهور هذه الأرواح أو وجودها من بعض الأحداث والظواهر التي تقع تحت ناظريه بعيداً عن المجال الإنساني فكثيراً ما تجفل الحيوانات فجأة لغير ما سبب ظاهر فيعزى ذلك الجفول إلى ظهور الأرواح والأشباح من حيث لا يستطيع الإنسان رؤيتها[2].

من هذا القبيل أيضاً اعتقاد سكان الأسكيمو بأن للحيوانات أرواحاً (الرنة، الدب القطبي، الفقمة...)، ومن ثم فإن الممارسات السحرية كفيلة أن يتحكم الصيادون في أرواح هذه الحيوانات.

وتفيد المادة الاثنوغرافية التي جمعها الدكتور فاروق إسماعيل من جبال كورنجو عام 1982 أن الزعيم كاسوللي حين كان يقوم بسبر الخريف يأمر الشبان بالخروج إلى الصيد لإحضار حيوان صغير أشبه بالغزال يسمونه بالمحلية (بوقا) ويحملونه إلى الشجرة المقدسة أو شجرة الكجورية، وبعد ممارسات لسنا بصدد سردها هنا تفصيلاً يأتي الكجور إلى شجرة يسمونها «انجية» أشبه بشجر اللبخ، حيث يلتفون حولها دائرياً ويحمل الكجور الطائر المقدس ويضعه على ساقه، حيث تتقدم إحدى مساعداته وتغسل فم حيوان البوقا بشراب المريسة ثم بالماء فيموت على الفور (ومن المعتقد أن طريقة الغسل ذاتها هي السبب المباشر لموت حيوان البوقا حيث تضغط المساعدة على رأس الطائر بيديها مراراً). ثم يذبح وينظف على النار ويفصل اللحم عن العظم، ثم يقطع إلى قطع صغيرة ويوزع على جميع أفراد القرية، اعتقاداً

---

[1] د. فاروق إسماعيل: تأثير الإسلام على الوثنية، ص 66-67.

[2] د. أحمد أبو زيد: تايلور، ص 158.

منهم أن فيه رحمة للأطفال وفأل طيب لهم ولذويهم، أما العظام فتدفن في الأرض لتحقيق الخصوبة والنماء. وفي جبال «كارلنجا» *Karlinga* ثمة اعتقاد أن الخنزير لا يمكن إصابته بالعين الشريرة أو الحسد لأن دماءه حارة، وأن روحه كفيلة بدرء شرور السحر وآثامه حيث يقوم الكجرة بنثر دمه أمام مسكن الساحر وكذلك عند البئر التي يرتادها والطريق المؤدية لزراعته، وقطع رأس الخنزير ودفنها في طريقه اعتقاداً بأن مجرد مرور الساحر على هذه الدماء أو الأجزاء كفيل بقتله ووضع نهاية لشروره وآثامه. أما في «كورنجو» *Korongo* فتدفن رأس الخنزير في الأرض درءاً للحسد والعين الشريرة[1]. أما في جبال الأنقسنا عندما ينحر الخنزير فإنهم يحرصون على أن تكون رأسه تجاه الجبل المقدس «بونق» ويشارك أكبر عدد في عملية الذبح تبركاً.

ومن هذا القبيل اعتقادهم في طائر السمبرية «دار» فالبعض يأكلها دون الآخرين، أو ترفض جماعة الكولان المقيمة حول «باو» أكلها ويعتقدون أن هذا الطائر تتجسد فيه أرواح أبنائهم من المهاجرين منذ زمن طويل، ومن ثم يرحبون بقدومها ويقدمون لها ما تحتاج من طعام وشراب في ترحاب بالغ. أما جماعة (الجكتاو) المجاورة لهم فإنهم يصطادونها ويأكلونها ويتفاءلون بها عند موسم الحصاد إذ إن ظهورها بشير بزيادة الإنتاج.

وعند قبائل الثان أحد فروع الدنكا طوطم يمثل روح المعشر وهو الثور ويسمى *Kwar*، وهم يعتقدون أنهم من سلالة هذا الحيوان ولذلك فهو أهل لكل تقديس.

هذا فيما يتعلق بالمجال البشري والحيواني، أما فيما يتعلق بالمجال الطبيعي فإننا نجد أمثلة كثيرة لدى العديد من الشعوب التقليدية والوثنية فيها بصفة خاصة، ففي جبال الأنقسنا تحاك الكثير من الأساطير حول «بونق» وجبل «ليفر» وجبل «كامول»، وترجع قداستها إلى عدد من العوامل أهمها كما يزعمون أن الإله «تل» يتردد على هذه الجبال من حين لآخر، كذلك أرواح أسلافهم من الموتى فضلاً عن أن الثور المقدس يمر بهذه الجبال مرة كل عام هكذا فجأة ليلاً أو نهاراً، لاسيما منطقة «لوي تل» أو بيت الإله في طريقه إلى جبل «سودا»، حيث يوجد بيت آخر للإله.

---

[1] د. فاروق إسماعيل: الأنثروبولوجيا الثقافية، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980، ص 421.

وقد سبق أن أشرنا إلى نقلة أسطورية في جبال كورنجو «عند معالجة الأساطير» تدور حول أبناء المرأة التي خرجت من الماء، وتلك تشير إلى ثور الماء «ميداماابيجي» ويعتبر من أهم الكائنات لأن روحه أو قوته الخفية مسؤولة إلى حد كبير عن الخير والنماء والزرع والضرع، عن كل ما من شأنه أن يبعث الحياة، وربما يفسّر هذا اعتقادهم في وجود بركة مياه يسمونها «بابا شنجي» ويذهبون إلى أن جدتهم الأولى كما تروي تنقلاتهم الأسطورية قد خرجت من هذه البركة. بل الأكثر من ذلك أن ميداما بيجي هذا، أو ثور الماء قد خلق إلههم موسلا، ومن ثمة فإنه الخالق الأول وأصل الكون ومقره الأرض. وتمضي ممارساتهم وطقوسهم في سبر الخريف حين يقوم زعيمهم «كاسوللي» باستخراج كميات الذرة بأنواعها والسمسم واللوبيا وغيرها من المحاصيل التقليدية، والتي سبق أن وضعها منذ فترة في الأرض ليباركها ثور الماء، ثم ينثرها على الناس وهم يحاولون التقاطها[1].

وتذهب أساطير أخرى في كورنجو إلى أن ثور الماء (ني) قد يظهر ممتطياً صهوة جواد أو كلب ولا يراه إلا الكجرة، كاسوللي أو تشيللي، إذ يعتقد أن الإله لا يهبط إلى الأرض إلا عندما يحل الظلام ليوزع الأرزاق ويبدل الأحوال «الغنى والفقر» ويخلق الأطفال. ولا يختلف هذا عما يذكره جيمس فريزر في كتابه «الغصن الذهبي» عن قبائل «الكيكويو» ***Kikuyu*** في شرق إفريقيا، الذين يعتقدون في ثعبان النهر ويقيمون له احتفالات وطقوس، حيث تقدَّم النساء إلى آلهة الثعابين وخاصة الفتيات الصغيرات. ويتولى زمام المبادرة في القيام بهذه الطقوس والممارسات رجل الطب أو الكاهن حتى يتم هذا الزواج المقدس. ويمضي فريزر فيذكر لنا أسطورة أخرى ذكرها الرحالة ابن بطوطة عن سكان جزر «مالديف» ***Maldive*** قبل دخولهم إلى الإسلام، وعاداتهم المؤكدة على لسان بعض سكان هذه الجزيرة في وثنيتهم، حيث تظهر روح شريرة عبر البحر يعتقدون أنها من «الجن» وتظهر على شكل أنوار متوهجة... وسرعان ما يقوم الوثنيون من سكان هذه الجزيرة بتقديم عذراء صغيرة بعد تجميلها إلى المعبد الوثني على الشاطئ ويتركونها هناك طوال الليل وعندما يعودون في الصباح يجدونها كما هي وقد ماتت.

---

[1] فاروق إسماعيل: الأنثروبولوجيا الثقافية، ص 273-280.

وتمتد فكرة الأرواح في المجال الطبيعي إلى الأرض كما نجد عند سكان مناطق الأكوادور والذين يعتقدون بأن الخصوبة مردها إلى الأرواح الكامنة في الأرض، والتي يجب تقديم القرابين لها حتى لا تتهدد مصالحهم أو زراعاتهم حرصاً على استعادة العلاقة الودية بينهم وبين هذه الأرواح واستمرار دعمها لهم بزيادة فاعلية الأرض وإنتاجيتها. وكذلك الحال لدى قبائل الهنود الحمر في المكسيك وغينيا الجديدة الذين يحرصون على تقديم القرابين لأرواح الأرض على ما أصابهم من محصول وفير[1].

ولا يقتصر وجود الأرواح على الماء والأرض، وإنما يمتد إلى كائنات أخرى كالنباتات أو الأشجار. يقول فريزر إن ثمة عدة أنواع من الأشجار يعتقد السكان أنها مسكونة بالأرواح، ففي قبائل «جربلج» *Grbalj* يعتقدون أن بعض أشجار الزان أو البلوط قد اشتملت على أرواح خاصة، فإذا خشي الحطاب أن تكون الشجرة التي قطعها قد اشتملت على مثل هذه الأرواح فإنه يسرع إلى نحر دجاجة على جذع الشجرة بنفس الفأس التي استخدمها في قطع الساق، إن هذا سوف يحميه من الأذى ويدفع عنه شرور مثل هذه الأرواح.

أما في «كورنجو» *Korongo* وفي نجع كاسوللي شجرة يدَّعون قدسيتها ويسمونها بالمحلية «بوزو» وثمة اعتقاد لديهم بأن أرواح الأسلاف تجتمع أسفل هذه الشجرة منذ القدم، ومن ثم فإنهم يبتهلون إليها جيئة وذهاباً، بل إنهم يحرصون على إبداء نوع من السلوك الجاد عند المرور بها وقد يلتقطون بعض الحجارة ثم يضعونها أسفل الشجرة كنوع من التقديم أو العطاء.

وأياً ما كان الأمر فإن ثمة تصنيف لهذه الأرواح حيث يتم التفريق بين الأرواح الخيرة والشريرة، فالأولى هي التي تحقق الخير والنماء، والأخرى هي التي تلحق الضرر والأذى والموت والمرض والعقم والعواصف والبراكين، ...إلخ. إذ يعتقد أن العالم الغيبي أو غير المنظور يحوي أزواجاً كثيرة بعضها خير والبعض شرير وآثم.

---

[1] د. فاروق إسماعيل: تأثير الإسلام على الوثنية، ص 71-72.

الخلاصة:

1- إن هناك العديد من التصورات والمفاهيم عن الأرواح سواء في المجال البشري أو في المجال الحيواني أو المجال الطبيعي لدى الشعوب البدائية.

2- إن الكائنات الروحية تختلف وتتنوع من حيث مراتبها ما بين الآلهة أو الكائنات العليا والأرواح الأخرى، كأرواح الأسلاف والشياطين وأرواح الأرض والماء والشجر والحجر، وهي تلعب دوراً رئيسياً في المجالين الإنساني والطبيعي.

3- إن الطقوس والممارسات والقرابين المرتبطة تستهدف استرضاء هذه الأرواح.

obeikandl.com